

إسعاف الطفولة المسعفة

أمزيان وناس
جامعة الحاج لخضر - باتنة

مقدمة:

إن أساس المجتمعات والأمم يبدأ من بناء الأسرة التي تعتبر النواة الأولى في كيان المجتمع وخليته الأساسية ولبنته الأولى، وهي الحضان الأول لأفراده مهما كان مستواهم وتوجههم، إذ فيها ينمو الفرد ويترعرع ومنها يتشبع بالقيم ويتعلم السلوكيات المقبولة اجتماعيا، ومن خلالها يحقق ذاته، إذن فالأسرة لها دور أساسي ومهم في تنشئة الطفل لكي يكون فردا صالحا لنفسه وللآخرين قادرا على مواجهة الصعاب مهما كانت وكذا حمايته من الاضطرابات والانحرافات، فهي تؤمن له الرعاية والاهتمام والأمن وتزوده بالخبرات المناسبة له واللائمة لمختلف المواقف حتى يكون متوازنا يثق في نفسه وفي قدراته التي تؤهله لمواجهة العالم الخارجي وبالتالي تكون قد أعدت فردا سويا نفسيا وصالحا اجتماعيا نافعا لنفسه ولمجتمعه، لكن ونظرا للتطورات والتحولات العالمية في شتى الميادين والتي ظهرت تداعياتها على الأسرة الجزائرية التي بدأت تفقد نوعا من التوازن واختلت أدوارها، وتخلت العديد من العائلات عن أعظم وظيفة لها وهي تنشئة الأطفال تنشئة سليمة، باعتبارهم فئة هشة تتطلب عناية خاصة، فكانت نتيجة تخلي الأسرة عن دورها هو وجود أطفال يهيمنون ويقضون معظم أوقاتهم في الشارع بدون عائل ولا كفيل، بدون حماية ولا رعاية، وقد أصبحت هذه الفئة تشكل ظاهرة ما فتئت تنمو وكل سنة تزداد نسبة المنتمين إليها ألا وهي ظاهرة الأطفال المسعفين، الذين يعانون أساسا من غياب السند المتمثل في الوالدين الذين يترتب عن غيابهما معاناة الأطفال من الحرمان العاطفي ومن حب وحنان الوالدين الذي لا غنى عنه، وكذلك حرمانهم منا الإشراف والتوجيه السليم في الحياة الذي يؤدي بهم إلى الاستقرار، كل ذلك بالطبع يؤثر على بناء شخصية الطفل المسعف من جميع

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

النواحي مما يجعله عرضة لعدد من الاضطرابات ولأنواع من الانحرافات ولكثير من المشاكل التي تعيق اندماجه في المجتمع تحرمه من التمتع بالحياة.

2- تعريف الطفل المسعف:

كلمة مسعف جاءت من إسعاف وهو إغاثة ونجدة، والمقصود بها هنا إغاثة معنوية¹، والطفل المسعف هو الفرد الذي حرم من والديه بسبب وفاة أو طلاق أو علاقة زوجية غير شرعية، حيث لا يجد من يقدم له رعاية بديلة إلا المؤسسة التي تسعى إلى تقديم رعاية جسمية ونفسية تضمن له نموا سليما²، هو كذلك الطفل الذي لا يعرف نسبه أو مجهول الأبوين ويراد به الطفل اللقيط، وهو مولود نبذه أهله أو تخلى عنه والديه طواعية أو مكرهين لخوف أو إدارة من تهمة الزنا³، فحرموه من نعمة الأبوة ومن الدفء العائلي، ومن الناحية الشرعية عرفه أبو بكر جابر الجزائري بأنه " طفل يوجد منبوذا في مكان ما لا يعرف نسبه ولا يدعيه أحدا و هو مولود لا يعرف له أب ولا أم وقد نبذه أهله"، أما رجال القانون فينظرون إلى الطفل المسعف بأنه ذلك الفرد الذي يبحث عن أشخاص يقدمون له الرعاية والإيواء وقد يكون مجهول النسب، مولود من أبوين مجهولين كانت لهما علاقة غير شرعية ولما أثمرت هذه العلاقة هذا الولد تهرب كل طرف من المسؤولية و تنكر في حق هذا الطفل، فلا أب يعترف بأبوته ولا أم تعترف بأبومتها تجاه الطفل فتقوم بتركه في الشارع أو المستشفى ليلقى مصيره في المراكز أو تكفله إحدى الأسر التي تفتقر إلى أطفال، وقد تطرق قانون الأسرة في المادة "246-256" إلى هذا الموضوع، حيث وضع القصر من الجنسين تحت حماية ووصاية مصلحة الإسعاف العمومية والمسماة بأيتام الدولة، أما علماء الاجتماع فينظرون إلى الطفل غير الشرعي أنه الطفل الذي جاء إلى الحياة بعد أن تعدى والداه المجهولان على المعايير والنظم السائدة داخل المجتمع، وخوفا من وصمة العار يتخليان عنه، لأنه مولود من علاقة جنسية خارج دائرة الزواج العلني والعقد الرسمي المعترف به اجتماعيا و

¹ البليش بلحسن، القاموس الاجتماعي المدرسي. 1992 ص 22 .

² أنس محمد قاسم، أطفال بلا أسر، الطبعة الأولى، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر.

1998، ص

³ خيرى خليل الجميل، - خيرى خليل الجميل، 1993، الاتجاهات المعاصرة دراسة

الأسرة و الطفولة ، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية 1993 ص: 27

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

قانونيا فيفتقر بذلك إلى اسم الأسرة والعائلة ويكون ضحية لوالديه وللمجتمع منبؤا وذا مصير مجهول، ينتظر من الآخرين التكفل به لتغطية عجزه وقصوره، أما نفسيا فحسب برلينغهام D. Berlingham أن الأطفال المسعفين " هم أطفال بلا مأوى ولا عائل لهم، تفككت حياتهم الأسرية بسبب ظروف قاهرة، ومن ثمة انفصلوا عن أسرهم وحرموا من الاتصال الوجداني الدائم بوالديهم، ويترتب عن ذلك فقدان الأثر التكويني الخاص الذي يتبعه الرباط العائلي، وقد ألحقوا بدور الحضانة أو معاهد الطفولة كالملاجئ،¹ ينشأ هؤلاء الأطفال ذو تقدير منخفض للذات ويشعرون بالدونية تجاه الآخرين وخصوصا أترابهم، كما تصيبهم العديد من الاضطرابات والأمراض النفسية، والنتيجة هي أن يجد الطفل نفسه مهمشا مهملا ؛ لأنه طفل غير شرعي يوصم بالعار؛ لأنه ولد من علاقة محرمة وليس هذا فقط بل إن هذا الطفل يرمى به في أي مكان والمهم بالنسبة لوالديه هو التخلص منه فيجد هذا الطفل نفسه فاقدا لحنان الأمومة وعطف الأبوة وحضن الأسرة، وقد يجد الطفل المسعف نفسه في أحضان عائلة أخرى غير عائلته أو يجد نفسه في مركز لرعاية الأيتام والأطفال المسعفين أو قد يتجاوز مع الأحداث الجانحين الذين ارتكبوا جرائم يدينها القانون.

3- أهمية الأسرة بالنسبة للطفل:

الطفل بحاجة دائمة إلى الأسرة التي تهئ له ظروف الحياة من جميع النواحي لكي ينمو سليما ويفرض نفسه ويثبت وجوده، يكون ذلك نتيجة لعلاقة تتولد تدريجيا وتنمو بين الطفل وأسرته التي تؤمن له الكثير من الاحتياجات التي تجعله حيا وتشعره بالأمن والانتماء وتنشئه بطريقة تجعله متوافقا مع نفسه ومع محيطه الاجتماعي وتجعله بمنأى عن السلوكيات غير السوية والمنحرفة وتساعد على بناء مستقبله الشخصي ومواجهة الصعاب بكل ثقة وأمان، وعليه فإن الأسرة توفر للطفل الحنان والدفع العاطفي وإشباع حاجته النفسية كالحاجة إلى الحب والأمن والتقدير، وخاصة من جانب الأم التي يرتبط بها الطفل بشكل وثيق، فشخصيته ومستقبله متعلقين بمدى قدرة أمه على توفير محيط عائلي محفز له يساعده على تحقيق عدد من الاكتسابات والوصول إلى مستويات نضج عالية سواء كان هذا على المستوى النفسي، المستوى اللغوي أو المستوى العقلي وخاصة المستوى العاطفي، كما تقوم الأسرة بتطبيع الطفل اجتماعيا،

¹ منسي حامد، 1998 ص 134

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

وتعويده على النظم الاجتماعية (التغذية، الإخراج، المعاملات، والتربية الجنسية، والاستقلال...) وإعطائه الدور والمكانة المناسبين له وتعريفه بذاته وتنمية مفهومه عن نفسه وبناء ضميره وتعليمه المعايير الاجتماعية التي تساعد في التكيف وتحقيق الصحة النفسية¹، هذا وتوفر الأسرة للطفل كل ما يحتاجه من أدوات ولعب ووسائل تعليمية تساعد في القيام بالكثير من الأنشطة المرتبطة بالأداء المدرسي كما توفر له الكتب والمجلات وتوفر له الظروف المناسبة للدراسة والنجاح فيها، إضافة إلى كل مستلزمات الإعاشة والحياة²، كما تعتبر الأسرة الكيان الوسيط بين المجتمع والطفل، فيما يخص الثقافة الاجتماعية مثل طرق الحديث والمعاملات والإشباع الغريزي والتواصل وغيرها فكل ذلك تقوم الأسرة بنقله للطفل حسب ثقافتها هي واتجاهات أفرادها الكبار وخصوصاً الأبوين³، وإذا افتقد الطفل للرعاية والحماية الأسرية اللازمة التي تنشئه تنشئة اجتماعية متوازنة، فإنه يكون عرضة للعديد من الأزمات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والخلقية والوجدية ويؤدي سلوكيات غير متوافقة من الناحية النفسية والاجتماعية والقانونية وغيرها، ويكون مستقبله رهينة التشرد والجنوح والانحراف.

4- أسباب انتشار ظاهرة الطفولة المسعفة:

تتعدد الأسباب التي تقف خلف انتشار ظاهرة الطفولة المسعفة وتفاوتت في شدتها وتواترها وكذا تأثيرها في إيجاد الظاهرة وتفاقمها، إلا أننا سوف نركز في هذه المداخلة على أكثر الأسباب تأثيراً في الظاهرة وأهمها شيوعاً وهي:

أ- البنوة غير الشرعية:

الأمر هنا يخص الأطفال غير الشرعيين أو اللقطاء الذين ليس لهم نسب ولا انتماء لعائلة بعينها، هؤلاء الأطفال تتم تنشئتهم على أساس أنه لا وجود لأي فرد من أقاربهم يعترف بشرعيتهم بحيث تضعهم أمهاتهم بالمستشفيات التي تحيط القضية بسرية تامة، ويكبرون وهم مرفوضون تماماً من قبل آبائهم الذين تهربوا من التكفل بهم، ولا يرغبون في ملاقاتهم ولا حتى رؤيتهم، مثل هؤلاء الأطفال يكبرون على أساس أنه لا وجود للوالدين الحقيقيين في حياتهم ولا أحد

¹ حنان عبد الحميد العناني، 2000، الطفل والأسرة والمجتمع، الطبعة الأولى، 2000 دار الصفاء للنشر والتوزيع. عمان الأردن، ص: 55.

² مصطفى المسلماني، د س ط، الزواج والأسرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية- مصر، ص: 26

³ حنان عبد الحميد العناني، مرجع سابق، ص: 76

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

يعترف بهم قانونيا واجتماعيا لأن دخولهم معترك الحياة جاء بطريقة غير شرعية لا يسمح بها القانون ولا الدين، إن هذا الوضع الشاذ الذي يجد الطفل نفسه فيه قد يسبب له الحزن والأسى ويصاحبه شعور بالخيبة واليأس وسوء التكيف وكره النفس واحتقارها والتساؤل عن جدواها في الحياة بغير العذاب، تمر الأيام بدون أن يتذوق اللقيط طعمها ويعيش معظم أيامه في عزلة حتى وإن كان بين الآلاف من الناس، يعيش لأجل هدف واحد وهو السعي لمعرفة أبويه والعثور عليهما وملاقاتهما والعيش معهما لتعويض ما فات من العمر بدونهما، يعيش على هذا الأمل جل الأطفال المسعفين لكن قليل منهم من يفلح في الوصول إلى هدفه، وإلى جانب كل هذا الحرمان الأبوي والمعاناة النفسية والاجتماعية، يعاني الطفل المجهول النسب من الشعور بذنب لم يقتصره وبخوف من المجهول لافتقاده السند بالإضافة إلى الشعور بعدم الانتماء الذي يلاحقه أينما حل.

ب- التفكك الأسري:

تتفكك الأسر لأسباب كثيرة ونجد منها على الخصوص انفصال الوالدين والطلاق الرسمي بينهما، ثم الهجر، وبالتالي يجد الطفل نفسه بدون أسرة، وفي حاجة إلى من يسعفه، وهذا بسبب التقلب الانفعالي للوالدين وعجزهما عن إقامة علاقات زوجية وأسرية صحيحة، ولم يحاولا الحفاظ على الجو الأسري ولم ينتبها لأطفالهما، بل سيطرت عليهما نزوات انفعالية وانتقامية من بعضهما، وبذلك ينهار التماسك العاطفي بينهما، وينتهي الأمر بالطلاق والانفصال، وبالتالي انهيار البناء الاجتماعي للأسرة، والطلاق عموما يعني تباعد الأب عن أبنائه أو تباعد الوالدين عن أبنائهما مما يترتب عنه عادة شعور الطفل بعدم الأمن والخوف من المستقبل والتوتر والاضطرابات وبأنه غير مرغوب فيه، ويعاني الأبناء الحرمان من الهدوء النفسي والاستقرار الأسري والعائلي والحرمان من عواطف الأمومة والأبوة التي لا بديل عنها، وتبدأ محنتهم مع تعاظم حاجاتهم إلى من يرعاهم من جميع النواحي خصوصا إذا كانوا في عمر الزهور، وقد يؤدي ذلك إلى وقوع الأبناء في بعض المشكلات الاجتماعية كالاعتداء على الآخرين، ويلاحظ أن الحرمان من الأم بالانفصال شأنه شأن الحرمان من الأب كونه يؤدي إلى نفس النتيجة بالنسبة للطفل، وهي تشويه الصورة الوالدية إما للأم المحروم منها، أو للأب المحروم منه، وهذا

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

لنشوه إدراك الصورة الوالدية عند الطفل¹، ولأن شريحة الأطفال هي الفئة الأكثر تضرراً وتأثراً بالطلاق لما يتركه من آثار سلبية في حياة الأطفال، ولعل من أكثر الجوانب التي تؤثر على الطفل هو الأثر النفسي والذي قد يمتد حتى إلى ما بعد الطفولة مشكلاً بذلك خطراً على مستقبله فيما بعد، و تزيد نسبة تأثر الطفل بالظروف الجديدة بسبب حاجته إلى الإحساس بالجو الأسري الأكثر استقراراً الذي يشبع لديه الشعور بالحب والأمان، ومن بين الآثار السلبية للطلاق على الطفل نجد الصراعات الداخلية والشعور بالضيق، الإصابة بالاضطرابات النفسية، عدم القدرة على تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية، العيش بمشاعر الغضب والعدوان، ممارسة بعض السلوكيات الخارجة عن القانون والمضادة للعادات والتقاليد².

ج- اليتيم:

اليتم هو فقدان أحد الوالدين أو كليهما بالوفاة ويكون وقعه شديد خاصة في الطفولة المبكرة، ويترتب عنه حرمان الطفل من الجو الأسري، حيث يؤدي موت أحد الوالدين إلى تغيير الدور الاجتماعي للآخر، مما يتسبب في الحرمان من الرعاية الوالدية التي تعتبر أول الأسباب المؤدية للاضطراب في الشخصية لدى الأبناء، وبغياب الأب تزداد مسؤولية الأم في ضبط سلوك الأبناء، وقد يكون الضبط ضعيفاً، وغياب الأم يؤثر تأثيراً كبيراً في الجو العاطفي السائد في المنزل، حيث إنها تمثل أساس العطف في الأسرة، وحرمان الأطفال من عطف وحنان الأم تكون آثاره بعيدة المدى على شخصية الطفل، وهي مؤثر للانحراف وسوء التوافق النفسي والاجتماعي، حيث يدفع اليتامى في عمر مبكرة إلى البحث خارج نطاق الأسرة عن الإشباع العاطفي الوجداني بصورة مخالفة للقيم والمعايير الاجتماعية، مما يمهد إلى تحولهم إلى أطفال بحاجة إلى مساعدة الآخرين وإسعافهم.

د- الإهمال:

قد يتم إهمال الطفل من قبل والديه أو من قبل أحدهما، وقد يكون ذلك بطريقة واعية، وقد تكون بطريقة غير مقصودة أو ليست كخيار للوالدين بسبب عجزهما على تلبية احتياجات الطفل المتعددة، وكذلك قد يتصرف الوالدان مع

¹ نبيل عبد الحليم متولي،، دراسات تحليلية عن الوفاة، مجلة كلية التربية، العدد 21 جامعة المنصورة - مصر. ص: 212.

² تاريخ الزيارة 2012/03/27 الساعة 15:05 - www.almuhrarrir.com -

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

الطفل بطريقة غير لائقة وذلك من حيث إهمال الصحة العامة للطفل ونقص تغذيته والتفريط في الاعتناء بمظهره من ناحية الكسوة والنظافة، الإجحاف في إشباع دوافع الطفل وحاجاته الطبيعية، وعدم مشاركته في مواقف حياتية مختلفة وغيرها مما أكدت عليه منظمة الصحة العالمية خلال حديثها عن الإهمال¹، إذا كان الحال هكذا يشعر الطفل بالتجاهل السلبي لاحتياجاته المختلفة التي يراها ضرورية وحرمانه من حقوقه الأساسية مثل تركه وحيدا لمدة طويلة، ونقص الانتباه إليه، فيحس بأنه فرد غير مهم في العائلة فهو لا يستفيد من الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية، ولا من الإشراف والإرشاد والتعليم والحماية في مواقف عديدة رغم بيان حاجته لذلك²، فيشعر الطفل بانخفاض المساندة الوالدية ونقص الحب، بل يشعر في كثير من الأحيان بأنه فرد غير مرغوب فيه، ويعيش فشل علاقته مع والديه ويفقد الدفء العائلي فيتجه خارج منزله لكي يبحث عن مصادر الحنان والمساندة والدعم أين يشعر بأنه إنسان لديه قيمة عند أصدقائه الذين يحسنون تقديره، ويبدأ في الابتعاد عن بيت أبويه شيئا فشيئا إلى أن يدخل ضمن زمرة الأطفال المسعفين، وتظهر نتيجة إفراط الوالدين في إهمال الطفل في مرحلة لاحقة من عمره على شكل تشرد أو إدمان على المخدرات.

5- الأسرة البديلة للأطفال المسعفين:

يوجد من الأطفال المسعفين من يكون محظوظا، ويتم التكفل به منذ ميلاده من طرف إحدى العائلات التي حرمت بدورها من نعمة الإنجاب، ومنهم من ينشأ في دور الحضانة ومراكز الأيتام إلى أن يعرف حقيقة أمره، وتبدأ معاناته بعيدا عن السند البديل إلا موظفي تلك المراكز الذين يتداولون على تأدية أدوار يحكمها القانون أكثر مما يحكمها الجانب الإنساني رغم عدم غياب الإنسانية من موظفي تلك المراكز، بل العديد منهم يفضل العمل مع المحرومين لأجل مساعدتهم وإشباع رغباته الداخلية في الأمومة وحتى الأبوة بالنسبة لبعض الرجال، وعليه فكل طفل يجد لنفسه حلا يناسبه أو يجد له الآخرون حلا يرونه مناسبا له ويضمن له جانبا من مستقبله المبهم والمحفوف بالمخاطر، ومن

¹ أحمد محمد عبد المنعم علي، مرجع سابق، ص: 5

² جعفر عبد الأمير اليابسي، مرجع سابق ص 20

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

بدائل الكفالة المتاحة للطفل والتي يفترض أن تعوض أسرته وتقدم له الرعاية اللازمة نجد ما يلي:

أ- الوضع في مراكز الطفولة المسعفة:

الكثير من الأطفال الذين يعيشون محنة اليتيم أو الإهمال أو إجحاف الأبوين وتخليهم عنهم في المستشفى أو حتى في الأماكن العامة، وحالات الطلاق والنزاعات القضائية فضلا عن أبناء السجينات الذين تجاوزوا السنتين من العمر يكون مصيرهم في غالب الأحيان هو الوضع في المؤسسات الخاصة برعاية الطفولة المسعفة حيث تقوم الدولة بالتكفلهم وإعطائهم نوع من الرعاية التي يفترض أن يجدها في الأسر الطبيعية، ويعيش الأطفال وكأنهم أخوة والمربية أو الأم الكافلة تلعب دور الأم الحقيقية، وتحاول إغداق مجموعة الأطفال التي ترعاها بالعطف والحنان والحب وتجعلهم يشعرون بالانتماء إلى مجموعة من الأطفال من أعمار متقاربة، ورغم ذلك فهم يفتقدون للحب والحنان مهما فعلته الأم الحاضنة فلن تعوض حب وحنان الأم الحقيقية ورغم أن الأطفال أثناء الترفيه والأوقات العادية يضحكون ويلعبون إلا أن مسحة الحزن في أعينهم تبقى جلية، وكان شيء ما ينقصهم ويطلبون تلبية للتو مثل الحاجات الضرورية والملحة، الدولة توفر لهم الكفاية من الملبس والمأكل والعلاج وأدوات اللعب والترفيه ولوازم النظافة وغيرها، وتوجد الكثير من مراكز الطفولة المسعفة في الجزائر موزعة في كل المدن الكبرى والمتوسطة، يكبر الطفل بالمركز ويألف المكان ويحب من معه من الأطفال والمربيات، يزاول التعليم بكل مراحله أو يتعلم حرفة تتناسب وقدراته وميوله، وعندما يكبر تكون له حرية الدخول والخروج من المركز قصد مزاولة الدراسة أو التكوين، وفي المركز كذلك يتعلم الطفل ضروب من السلوكيات قد تكون سوية وقد تكون عكس ذلك، وهي التي تتحكم في سلوكه عندما يخرج من المركز، وعندما يبلغ 18 سنة من العمر تنتهي مأمورية وضعه بالمركز ويتم تسريح الفتيات والشبان على حد سواء، لأن القانون يؤكد أنه في هذا السن فإن كل شخص يصبح مسؤولا عن نفسه وكل ما يصدر عنه من مخالفات وتصرفات غير قانونية وتطبق عليه نفس العقوبات، مثله مثل الراشدين، إذن يخرج من عالم الطفولة ويصبح بعدها من شريحة الشباب والراشدين، وعليه تدبر أمره تماما مثلما يفعل بعض الآباء الطبيعيين مع أبنائهم، إذ عندما يبلغون سن 18 من العمر يطردونهم من البيت لكي يواجهوا الحياة بمفردهم، والمشكلة التي تطرح أكثر ليس مع الذكور ولكن مع الإناث، أين يذهبن وأين يقمن؟ ومن يعيلهن وغير ذلك من

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

الأسئلة التي تطرح نفسها خصوصا في ظل قسوة الشارع ورواده من الذئاب البشرية التي لا ترحم.

ب- الوضع لدى العائلات البديلة:

قد يجد بعض الأطفال المحظوظين أنفسهم في وسط عائلات حاضنة بديلة تستقبلهم وتتكفل بهم من جميع النواحي، وقد يتم ذلك عند الولادة مباشرة، وقد يكون بعد ذلك بسنوات حيث يختار الزوجان اللذان لم يكتب لهم الإنجاب طفلا من دار الحضانة بمستشفى الأمومة والطفولة، ويقع الاختيار على الطفل الجميل والوسيم فكما هو معلوم فالجميع يفضلون أخذ أطفال يتمتعون بالجمال، في حين يبقى الذي لا تتوفر فيه بعض المواصفات المطلوبة لدى العائلات الجزائرية بصفة عامة، ويتأثر الأطفال كلما أتت عائلة لأخذ أحد زملائهم لكفالتهم بل يتعذبون كثيرا لحدث الفراق، الوضع لدى العائلات المستقبلية لا يتم هكذا بسهولة ويسلم الطفل لأي عائلة تطلب التكفل بالطفل، بل هناك إجراءات عديدة تمر بها تلك العائلة منها البحث الاجتماعي، البحث الأمني، زيارة المساعدة الاجتماعية لمركز الطفولة المسعفة، الإمضاء على دفتر شروط الوضع، يتم إصدار وإمضاء الأمر بالوضع من طرف قاضي الأحداث الذي يعتبر هو الوصي الشرعي للأطفال المسعفين وبعدها ينتقل الطفل للعيش مع العائلة التي اختارته ورضي هو بالعيش مع أفرادها، وبعدها يبدأ التكفل العائلي بالطفل، هذا ويعتبر الوضع لدى العائلات المستقبلية من بين الحلول التي يحبذها الأطفال المسعفون وينتظرونه بكل شغف على أمل أن يتم تعويض العطف والحنان والرعاية التي فقدوها من عائلاتهم الحقيقية ويعيشون الجو الأسري بكل مكوناته العائلية ولواحقه الاجتماعية.

ج - الزواج:

القليل من الأطفال المسعفين الذين يكون الحظ بجانبهم ويجدون شريك العمر خصوصا بالنسبة للبنات المسعفات، حيث يتقدم الرجال من أعمار مختلفة ولكن جلهم من المعوزين والأرامل والمرفوضين للزواج من طرف الفتيات العاديات، وبعد أن يتم ترتيب لقاء بين العريس المقترض والبنات اللاتي بلغن السن القانونية للزواج ويرتقبن عريسا للزواج ، وإذا تم التوافق بين الطالب للزواج والفتاة التي يقدم لها العرض تبدأ بعدها الإجراءات الإدارية والقانونية من وثائق وبحث اجتماعي وقانوني أمني حول الشخص الراغب في الزواج وبالموازاة تقوم موظفات المركز بجمع التبرعات لشراء ما تحتاجه الفتاة التي تتحول إلى عروس تحظى باهتمام الجميع وتزف في الوعد المتفق عليه حيث

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

ترافقها إلى بيت الزوجية بعض الموظفات والمساعدة الاجتماعية التي تلتزم بزيارتها من حين لآخر إلى أن تستقر وضعيتها، أما بالنسبة للمسعفين الذكور فعادة ما يرتبون أمورهم بمفردهم ولكن باستشارة مديرة المركز والمساعدة الاجتماعية التي يمكن أن تتعرف على زوجة المستقبل للطفل المسعف الذي تحول بحكم سنه إلى شاب، حين يتم الاتفاق مع أهل العروس يتولى موظفو المركز تنظيم حفل الزفاف في المركز وبحضور الأطفال المسعفين ثم يذهب العروسان للعيش ببيت مستأجر أو سكن اجتماعي تخصصه الدولة لمثل هذه الحالات، ونشير إلى أنه نادرا ما يتم الزواج بين أطفال المركز من المسعفين والمسعفات، ويقام لهم حفل زفاف توجه فيه الدعوة للسلطات المحلية وللصحافة، وتقوم الدولة بتخصيص سكن لهما، وفي المقابل نشير إلى أن كثيرا من المسعفات يتأثرن أيما تأثر عندما يشاهدن إحدى المسعفات تخرج عروسا من المركز لبيت الزوجية، وذلك بسبب ألفتها وبسبب عامل الغيرة والتمني بالمثل، حيث تحدث مآسي بسبب زواج الفتيات من مراكز الطفولة المسعفة.

د -التشرد في الشارع:

تؤدي أسباب انتشار ظاهرة الطفولة المسعفة السابقة الذكر وغيرها، إلى بحث الأطفال المسعفين عن مأوى لهم خارج المنزل وعن مخرج يكون متنفسا لهم يساعدهم على تحقيق ذواتهم وانتمائهم على الأقل للمجتمع بعدما رفضهم ذووهم الذين قذفوا بهم إلى الشارع واحتضنتهم الأرصفة والطرقات، وأطلقت عليهم أسماء متعددة تتغير بتقدم عمر الطفل إذ يكون متشردا ثم منحرفا ثم مجرما، حيث يعبر الطفل بتواجده في الشارع عن الإقصاء والتهميش والعنف المتعدد الألوان الذي تعرض له من قبل والديه، ويحاول أن يثبت وجوده بطريقته الخاصة والتي تبدأ بالتسول والاستجداء والتشرد حيث يعبر فيها عن طفولته المجروحة، ثم تتحول إلى انحراف ويعبر فيها عن حرمانه بالسرققة، النشل، الشتم وأخيرا تكون على شكل عنف وإجرام انتقاما من الجميع، ولأجل الحصول على بعض الحقوق باعتبارهم فئة مستضعفة ومقهورة، وخلال تواجدهم بالشارع يتعرض الأطفال لشتى أنواع الاستغلال المادي والجسدي بحيث يزاولون مهنا لا يقوى عليها الكبار، ويتعرضون للعنف ويعانون من قساوة الطبيعة، ويعيشون وسط الأخطار والاستغلال الجنسي، كل ذلك لأجل أن يتاح لهم إشباع حاجاتهم الأساسية من أجل العيش والبقاء، وفي سبيل ذلك وبسبب أفعالهم المنافية للقانون قد يتعرض الكثير منهم للمساءلة القانونية بهدف حفظ النظام العام، ويكونون ضحايا في العديد من المرات وفي مواقف مختلفة، ونشير أن الأطفال المسعفين الذين يلجأون إلى الشارع ويتخذون منه مأوى دائما

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

لهم ووجودهم في الشارع يتصف بالاستمرارية، فقد يكونون يتامى ومحرومين من أحد الأبوين، فهم بلا مأوى يعيشون في الشارع ويمارسون مهناً هامشية، قد يكونون على اتصال ضعيف بأسرهم بحيث يذهبون لزيارتهم أحياناً فقط، وقد يكونون من الأطفال الهاربين من أسرهم بسبب الفقر أو الازدحام وسوء المعاملة في البيت، ويعيشون في جماعات مؤقتة أو منازل أو مباني قديمة ومعزولة ويمارسون الجنوح والإجرام بكل أشكاله.

6- معاناة الطفولة المسعفة:

كأن الظروف لم تكتف بحرمان الطفل من أسرته، فهي تضاعف حرمانه وتشدّد معاناته كلما تقدم به السن، وما من يوم يمر إلا ويذوق فيه لونا آخر من العذاب ونوعاً جديداً من المعاناة، وهي كثيرة لكن ارتأينا أن نوجزها مجملتها فيما يلي:

أ - البحث عن الهوية:

من أقسى المعاناة النفسية التي يعيشها الطفل المسعف وخصوصاً مجهولي النسب وهم يشكلون الفئة العظمى من الأطفال المسعفين هو التساؤل من الهوية وعن الانتماء والأصل، فيقول لنفسه من أكون؟ ولم رمي بي هنا وأين هم أهلي؟ وي طرح هذه الأسئلة على كل من يقابله عله يجد عنده الجواب الشافي، وتطول رحلة البحث عن الجواب، وتتعدد تشعبات الطريق الموصل إليه، ولكن الطفل غالباً ما ينتهي بسؤال المنطلق من أكون؟ ومن أين أتيت، تلك الأسئلة كثيراً ما تدفع بالمسعف إلى الإصابة بالأمراض النفسية المختلفة، وذلك عندما يصل الطفل إلى حالة التنصل من واقعه المر، بل ويدخل في حالة من انفصام الشخصية، إذ يتخيل نفسه وسط أسرة، وأحياناً يتحدث مع والدته أو مع أخته وكأنه في حقيقة، وأحياناً يتهرب الطفل المسعف من واقعه المشؤم باللجوء إلى أحلام اليقظة، فيتصور نفسه قد أحب فتاة ما وهي تعلقت به وسيتزوجها عن قريب وتجده يحضر في خياله للزواج وكيف ستتم مراسيم الزفاف أيضاً، خصوصاً بالنسبة لفتيات في عمر الزهور، في سن الأحلام، يبدأ أن رحلة البحث عن ذواتهن وكيونتتهن الاجتماعية، ومحاولتهن التثبيت بحلم إيجاد موقع اجتماعي يسمح لهن بتجاوز عقدة الأسرة التي حرمن منها، وغياب دفع الوالدين منذ الطفولة، وفي ذلك الكثير من المصاعب، وأمام حالة الانسداد والبقاء في حلقة مفرغة فيما يخص العثور على النسب، وكرد فعل عنيف ضد الذات المجهولة نجد أن العديد من الأطفال يحاولون الانتحار، لأنهم لم يجدوا

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

أنفسهن أمام المصير المجهول، ويعيشون في نفق مظلم وهذا ما يسبب لهم ارتجاجا وشرخا في الشخصية، بل وتحدث لهم أزمة نفسية دائمة .

ب - الحرمان العاطفي:

تعتبر العواطف من الحاجات النفسية الأساسية لنمو الإنسان، تلك الحاجات التي لا يمكن أن تقتصر على الحاجات المادية الضرورية للحياة فقط، ولكنها تشمل أيضا حاجات النمو العاطفي والتي لا تقل أهمية عن الحاجات المادية¹، إذ يعتبر نوبار سيلامي N.Sillamy بأن الحاجات العاطفية كالحنان والعطف تعتبر ذات أهمية كبرى بالنسبة للإنسان، وعدم إشباعها يؤدي إلى نتائج وخيمة على نفسية وسلوكيات الطفل، ويتجلى الحرمان من خلال القلق الزائد والدائم والحاجة الملحة إلى الحب والتي تظهر من خلال اضطرابات الأكل والنوم والعلاقات مع الناس، والمشاعر القوية كالانتقام والشعور بالألم والاكتئاب²، إن عدم قدرة الطفل على مقاومة كل هذه الانفعالات قد يؤدي به إلى أمراض نفسية وعصبية ونقص ثبات العلاقات الاجتماعية، ويتعدى ذلك إلى حد تكوين صورة سلبية عن المجتمع وعن نفسه مما يؤدي به إلى اليأس وفقدان الرغبة في العيش وتكوين فكرة الانتحار، إن فقد الأبناء للآباء يقلل كذلك من شعورهم بالأمن والطمأنينة نتيجة حرمانهم من العطف والحنان والقوة والتوجيه والرعاية والحماية وقد يؤدي الحرمان إلى الحد من مجالات التغيير والتجريب والتجديد التي يمارسها الأبناء، كما أنهم يعانون من اضطرابات نفسية فقد يكونون انطوائيين وخجولين و يعانون من مشكلة قضم الأظافر لدرجة أنهم قد يؤذون أنفسهم، كل ذلك يعيق تأقلمهم مع المجتمع ويعيق تقدمهم في الدراسة ويخلق منهم مستقبلا أشخاصا مضادين للمجتمع.

ج - ضعف التكفل:

إن المنتبغ لواقع الطفولة المسعفة يجده صعبا جدا جراء ضعف التكفل بهذه الشريحة، سواء بقسم الطفولة المسعفة بالمستشفيات التي غالبا تكون غرفها ضيقة وأحيانا تكون مزدحمة بالأطفال، كما أن الملابس التي يرتديها الأطفال رثة وممزقة، مع نقص لوازم النظافة مثل الحفاضات، والألعاب قليلة ومهشمة لا تصلح للعب، ويتم التكفل بهؤلاء الأطفال من قبل عدد قليل من الموظفات، أما الأطفال الذين يوضعون في مراكز الطفولة المسعفة أو الذين يوضعون في

¹ أنس محمد قاسم، أطفال بلا أسر، الطبعة الأولى، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر ،

ص: 24

² P33 - N.Sillamy, 1999, Dictionnaire de la psychologie, Paris, France

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

مراكز إعادة التربية بأمر من قاضي الأحداث لفترة مؤقتة وذلك بسبب ظروف أسرهم أو بسبب سلوكهم وانتشالهم من الشوارع والتشرد، فالمنتظر أن يقوم آباء الأطفال بزيارتهم، ولكن نظرا لظروف الأولياء فإن الزيارة قلما تحصل، لذلك يمضي الأطفال أياما وشهورا وهم ينتظرون من يزورهم ويتشبتون بكل زائر ويتمسكون به ويترجونه أخذهم معه ، وشغلهم الشاغل هو الخروج من المركز، لذلك نجد الكثير منهم لا يهتمون بالدراسة وتكون نتائجهم غير مرضية بالنسبة للقائمين على تلك المراكز، رغم أن الدولة توفر لهم كل المتطلبات الضرورية للمعيشة والدراسة والترفيه، وكلما خرج طفل من المركز إلا وخيم الحزن على باقي الأطفال، وتزداد المشاعر التهايا بالنسبة للأطفال مجهولي النسب أو الذين تخلى عنهم أولياؤهم خصوصا في موسم العطل عندما يذهب بعض الأطفال لقضاء العطلة بين ذويهم ويبقى الآخرون بدون زائر ولا قريب، ويكونون عرضة للقلق والضجر وتظهر عليهم علامات اليأس واليأس، هذا فضلا عن المشاكل التي تنتشر في أوساط الحياة الجماعية مثل العدوان والتبول اللاإرادي والشذوذ الجنسي وتدخين السجائر وأحيانا الثورة والتمرد على نظام المركز والقائمين عليه.

د - التخلي الثاني واللجوء إلى الشارع:

رغم ما يعانيه المسعفون والمسعفات بمختلف المراكز، إلا أن البقاء به يتحول إلى حلم عندما يبلغون 18 سنة من العمر حيث يجدون أنفسهم دون عائلة تحتضنهم، ولا بيت يأويهم وخصوصا بالنسبة للفتيات اللواتي يتخلى عليهن المركز بعدما تخلى عليهن آبائهن، ولم يحظين بالزواج نظرا لظروفهن من ناحية وحساسية المجتمع وتحفظ العائلات الجزائرية من بنات المراكز خصوصا ما تعلق بالزواج ، لذلك يواجهن مصيرهن في الشوارع وكم هي قاسية تلك الشوارع الباردة ليلا والمكتظة بالعيون المتربصة نهارا، والذي يسكنه ذئاب لا ترحم أبدا، ولكن مفروض على المسعفين أن يواصلوا العيش في مجتمع رفضهم ولا يقبلهم كمواطنين، فالحياة بالنسبة للمسعفات خاصة كثيرة المرارة ولكن يجب ضمان لقمة العيش وبأي طريقة، هناك من تختار طريق العمل والدراسة وإيجاد مكان في المجتمع، وهناك من تسعى إلى الزواج ومنهن من تتشرد في الشوارع وتتحول إلى أم عزباء وترمي بابنها الأول في المستشفى ثم الثاني والثالث وربما أكثر من ذلك، وتتفاقم مأساتها أكثر إذا أرادت أن تحافظ على ابنها وتقوم هي بتربيته فتجد نفسها من الشارع إلى دار النساء في محنة (s.o.s femme en détresse) الذي تديرها جمعيات خيرية وتعيش على صدقات المحسنين، وهكذا تبقى رهينة للمعانة إلى أن تموت، أما الذكور

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

فالكثير منهم يمتن السرقعة ويطعاطى المخدرات والكحول و يعيش في الحقائق ويعتدي على الآخرين إلى أن يجد نفسه في السجن حيث يتعرف على المجرمين ويتعلم ضروب الإجرام ولا يخرج من السجن إلا وهو محترف ثم ليعود إليه مرة أخرى.

هـ - الوصمة الاجتماعية:

قد يجد الأطفال المسعفون أسراً تحتضنهم وقد يتم التكفل بهم في مراكز الطفولة المسعفة، إلا أن نظرة المجتمع إليهم قاسية جداً قساوة ما اقترفه آباؤهم من أخطاء في حق المجتمع، إذ يدفعون ثمن تلك الأخطاء وهم أبرياء منها، بل هم الضحايا قبل المجتمع، فتجد الناس ينعتوهم بنعوت غير محتملة مثل مناداتهم بأولاد الحرام، "أولاد الدولة"، "أولاد الرايس"، "أولاد لاسيطنونس" وغيرها من العبارات الكثيرة والتسميات المتعددة التي يتفنن المجتمع في إطلاقها على الأطفال مجهولي النسب المتخلي عنهم من طرف ذويهم، الذين لا حول لهم ولا قوة لهم فيما يعانونه، فغلطة الكبار يدفع ثمنها الصغار، ويا له من ثمن! ذلك الذي يبقى وصمة عار على جبين الأطفال تلاحقهم حتى آخر جيل من أحفادهم، هذا إن تمكنوا من الزواج وتكوين عائلة، واللجنة التي تلاحق مجهولي الهوية هي سلسلة التساؤلات التي لا تنتهي ولا يجدون لها من جواب سوى لأنهم لقطاع وذلك أدى إلى حرمانهم من بعض المزايا مثل الخروج في العطل الصيفية من مراكز الإسعاف، تفادي الاحتكاك بهم من طرف الآخرين لذلك نجد أن الكثير منهم يخشون من إخراج وإظهار بطاقتهم و التعريف بهويتهم، ولأجل ذلك السبب نجد أن الكثير من الأطفال المسعفين غادروا مقاعد الدراسة مبكراً لكي لا يشار إليهم بالأصابع، ولكي لا ينعتون باللقطاء من طرف زملاء الدراسة، وأكثر من ذلك فإن بعض العائلات التي تبنت الأطفال المسعفين أصبحت تخاف هي الأخرى من نظرة المجتمع إلى الطفل المتبنى فيضطرون إلى القول بأنه ابن أقاربهم أو معارفهم حفاظاً عليه وعلى توازنه، وكثير من العائلات راحت ضحية عنف ممن أنقذته يوماً من براثن المعاناة والفاقة ومن عتبات التشرد والانحراف، لا شيء سوى لأن المسعف يريد الحقيقة لكي يرد على من يشمتونه ويعيرونه.

7- إسعاف الطفل المسعف:

بالنظر إلى المجهودات التي تبذلها المؤسسات التي تتولى كفالة الطفل المسعف من المؤسسة القضائية والأمنية والتضامنية والأسرية وغيرها والتي تتداول أو تتعاون فيما بينها على كفالة وتربية الطفل إلى أن يصبح رجلاً والبنات

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

تصبح امرأة، وأخذا بعين الاعتبار المعاناة التي يتحملها الطفل المسعف نفسه، لكن في الأخير نجد أن معظم تلك المجهودات يذهب سدى، ولا يستفيد منها الطفل المسعف إلا القليل، وذلك يتمثل في الجانب الإعاشي والجانب التعليمي الذي يتوقف غالبا عند المستويات الأولى من التعليم، وخلاف ذلك فإن الطفل يتعلم الكثير من ضروب السلوك المنحرف ويعاني من أنواع الحرمان ويواجه كل أشكال الصعاب المادية منها والمعنوية وقلما ينجز الطفل المسعف مستقبلا ناجحا انطلاقا من دور الإسعاف أو حتى بمساعدة العائلات البديلة إلا ما ندر، وبما أن العبرة في خواتم الأمور فإننا نرى بأنه من الضروري إحداث تغييرات وإيجاد استراتيجيات جديدة للطريقة التي يتم بها التكفل بالطفل المسعف، أو بالأحرى القيام بإسعاف الطفل المسعف وذلك بالتأكيد أولا على أنه طفل غير عادي وبالتالي فإن مطالب النمو لديه تكون استثنائية في بعض الأحيان، وعليه يتطلب إسعافه بجد من أول لحظة دخوله إلى المركز أو وضعه لدى عائلة بديلة وحسب أجوريا قيرا D.Ajuriaguerra فإن الأمر يقتضي الفهم الواعي والعميق لمسؤولية التكفل بالطفل المحروم الذي يختلف عن فئات الأطفال العاديين بحيث يترتب عنه منذ صغره ضمان نموه بطريقة سليمة من الناحية النفسية والجسدية والاجتماعية، وإن عدم إشباع الحاجيات الضرورية له يؤدي إلى حدوث أضرار وخيمة تمس كل جوانب حياته من خلال إنجاز ما يلي¹:

أ- الإشباع البيولوجي:

لأجل ضمان النمو الجسمي السليم والمتوازن للطفل، يتطلب الأمر توفير وتهيئة الظروف الصحية المناسبة في المؤسسات الإيوائية أو الأسر البديلة، مما يوفر مقومات الحياة الصحية السليمة للطفل. ويأتي على رأس هذه الحاجات النظافة و الإرضاع لفترة كافية ثم تلبية بعد ذلك الحاجة للمسكن اللائق والأكل المتنوع والمناسب والشراب النقي والعلاج في الوقت المناسب واللباس الملائم واللازم للطفل مما يقيه من الأمراض التي تظهر نتيجة العوز والإهمال²، وضمان عدم حرمانه من أي منها، لأن ذلك سوف يؤدي إلى خلل في نموه

¹ D.Ajuriaguerra, 1980, Manuel de psychiatrie de l'enfant, 1ère éd, ED : Masson, France p :58

² D.Ajuriaguerra, Manuel de psychiatrie de l'enfant,p :58

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

الجسمي الذي يؤثر بدوره على نموه النفسي والاجتماعي وتحصيله الدراسي ومقاومته للأمراض مستقبلاً.

ب- الحاجة إلى الحب والانتماء:

عندما تلبي الحاجات البيولوجية للطفل تبرز أهمية الحاجة إلى الحب والانتماء، وهما من أهم الحاجات الانفعالية التي يجب إشباعها، فالطفل المسعف بحاجة إلى الشعور بأنه محبوب ومرغوب فيه، وأنه موضع حب للآخرين، فهذه الحالة ناشئة آلياً عن حياة الأسرة العادية، والطفل المسعف عندما يكون محروماً حرماناً كبيراً من الحنان والعاطفة فإن ذلك يسبب له ردود أفعال تتضح في العدوانية والمعارضة والهروب والإفراط في التعويض، وتجدر الإشارة إلى أن الطفل المسعف يستطيع أن يفرق بين الحب الحقيقي الذي يكنه له من حوله وبين الحب الممزوج بالشفقة الذي يحس معه الطفل بالاحتقار لذاته والكره للمجتمع¹.

ج- الشعور بالأمن و الطمأنينة:

الطفل بصفة عامة والمسعف بصفة خاصة يكون بحاجة في سنواته الأولى إلى إنسان يكون له بمثابة السند، ويمثل له الحماية ويضمن له التواصل لكي يشعره بالطمأنينة والأمان، وذلك ما يمكن الطفل من النمو بطريقة طبيعية بعيداً عن الاضطرابات النفسية والاجتماعية والوقوع في المخالفات القانونية، وهي تتحقق من خلال إحساسه بالأمن والطمأنينة التي تعبد له طريق النجاح في مجالات شتى، وبدونها يهيم الطفل على وجهه وينعزل عن الناس ويختزل علاقاته في الطاعة العمياء أو في التمرد على القيم والعنف كوسيلة للتعبير عن الحاجات المفقودة².

د - تقدير الطفل وتقبله:

من أكثر ما يحتاجه الطفل المسعف هو الاهتمام به واحترامه و تقديره من طرف الآخرين، وذلك يمثل إشباعاً عاطفياً لديه، ويساهم بصورة كبيرة في تكوين شخصيته وتنمية قدراته وإثراء كل معايير القيم وغرس أخلاقيات المجتمع التي تمكنه من التكيف في حياته، أما التقبل فهو يمثل ركيزة أساسية

¹ الخطيب محمود، كيف نربي المراهق، الطبعة الأولى، دار الجيل، لبنان ، 1993، ص:18.
²م. الخطيب، كيف نربي المراهق ، ص: 25

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

لبناء شخصية الطفل، لذلك يجب على الأسرة البديلة أو الأمهات البديلات إشباع هذه الرغبة لدى الطفل منذ الولادة، لكي يدرك أنه مقبول من طرف والديه وإخوته وأقاربه ورفقائه ومن المجتمع ككل، لأن الطفل كما يقول ديسبارت J.L.Despert "بحاجة دائمة إلى التعرف على ذاته ومكانته داخل الأسرة." إن شعور الطفل المسعف بالتقدير الاجتماعي وبالقبول العائلي يؤدي به حتما إلى قبول نفسه واحترامها وتقوية شعوره بأنه كائن حي يستحق الاحترام.

هـ - التمتع باللعب :

يعتبر اللعب سلوك فطري ونشاط مميز في حياة الطفل، ويشكل مصدرا للذة قبل كل شيء، وهو من أفضل وأسرع وسائل التعبير في حياة أي طفل، كما أنه يساعد على النمو من جميع الجوانب، بالنسبة للطفل المسعف يجب أن توجه ألعابه وتقتنى بهدف التحكم في الجسم ومنها السلوكيات التي ترتبط باللذة في التهديم والعدوانية وردود الأفعال في وضعيات معينة، بحيث يعطي للطفل فرصة للسيطرة على ذاته والسيطرة على الأشياء أيضا، ومن خلال اللعب يتم تدريب المسعف على كيفية تقليد وظائف الآخرين ومحاكاتهم، لذلك يجب تدريب الأطفال المسعفين على مختلف الألعاب والنشاطات، و توفير ما يحقق لهم ذلك من وسائل مادية وترفيهية ودمجهم في جماعات، ومحاولة تكييفهم مع بعضهم البعض، مما يساعدهم على التكيف مع المجتمع الأكبر من مؤسستهم الإيوائية، أو عائلتهم البديلة.

و - الاندماج مع الأطفال: الطفل بحاجة إلى رفاق في سنه ليلعب معهم، فهو يكتسب منهم خبرات جديدة، فقد لاحظتيرين D.Stern, 1977 أن التفاعلات الاجتماعية الموجودة بين الأطفال أثناء لعبهم تساعد على نمو الجانب الاجتماعي في الطفل، لذلك من واجب القائمين على تربية الطفل المسعف توجيهه الوجهة الحسنة وإبعاده عن رفاق السوء بأساليب مقبولة لديه، وأن يبعدوا عنه في نفس الوقت الشعور بالخوف والشعور بالذنب والخجل من وضعيته، بل أول من يواجههم ويتأقلم معهم بوضعيته الجديدة هم الأطفال من نفس السن الذين يقضي معهم معظم وقته ويؤثرون فيه ويتأثرون به ، لذلك فهو

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

هنا يحتاج إلى التشجيع على الإقدام بصفة دائمة لمواجهة المواقف الاجتماعية الجديدة والتأقلم معها¹.

ز - التربية على الأخلاق :

الطفل يتقصد أوامر نواهي والديه والقائمين على رعايته، و ربما يتخذ منهم المثل الأعلى له، لذلك يجب زرع القيم الأخلاقية السامية في نفوس الأطفال المسعفين منذ البداية وهي مسؤولية المؤسسة المستقبلية مركزا للإيواء كان أم عائلة بديلة، ثم تشاركهم بعد ذلك المدرسة بصيانتها وتدعيم المناسب من القيم الاجتماعية وحذف غير المناسب منها لحياة الطفل في مجتمعه، ويرى بيرىPerry أنه لا وسطية في شخصية الطفل، فهو إما أخلاقي عندما يستقي معايير أبويه وبالتالي معايير المجتمع، أو لا أخلاقي عندما يعجز عن استقاء هذه المعايير الأخلاقية فيكون غير اجتماعي².

ح - هوية مقبولة:

من الأجدر أن يمنح الطفل المسعف هوية مقبولة على الأقل من الناحية الرسمية لذلك يجب حذف كلمة "ابن مجهول" من شهادات الميلاد الخاصة بالأطفال المسعفين وتعويضها بكلمة "مكفول" وهو إجراء بسيط يخفف الكثير من الأعباء عن الطفل خصوصا عندما يكبر ويكون إلزاما عليه التعامل مع الإدارات العمومية والخاصة، لأنه لا داعي لأنه تلاحقه لعنة الطفل المجهول حتى أمام الأشخاص الذين لا يعرفونه مسبقا، وبذلك يمكن أن لا تتسع دائرة الوصمة الاجتماعية التي ألصقت به عنوة.

ط - حماية الطفل من الاستغلال:

التفكير في سن قوانين صارمة تعقبها مراقبة جادة للعائلات التي تتكفل بالأطفال المسعفين وتسليط العقوبات على أولئك الذين يرمون الأطفال في الشوارع بعد إخراجهم من مراكز الإسعاف، والعمل على التقليل من استغلال المسعفين والمسعفات للعمل في البيوت، وكذلك وضع شروط صارمة لمن يريد أن يتزوج من مسعفة لضمان حقوقها الكاملة في حالة طلاقها، وعلى العموم

¹ حواشين نايف، النمو الانفعالي للطفل، الطبعة الثانية، دار الفكر، عمان، الأردن. 1996،

ص120

² المرجع نفسه، ص119

إسعاف الطفولة المسعفة.....أمزيان وناس

يجب محاربة كل ألوان الاستغلال الممارس على الأطفال المسعفين من أي كان.

ي - ما بعد 18 من العمر:

من الأجدر فتح النقاش والتفكير الجدي ودق ناقوس الخطر في العديد من الأوساط سواء وزارات أو مراكز أو حتى لدى الحقوقيين والأساتذة المختصين في علم الاجتماع وعلم النفس، حول مصير الأطفال المسعفين وخاصة الإناث منهم اللواتي يبلغن سن 18 من العمر، يجب حمايتهن من الانحراف ومن التشرد والترك والإهمال، وبالموازاة يجب تحسيس المجتمع بمعاناة المسعفين للحد من النظرة القاسية التي تلاحقهم وكثيرا ما تصفهم بـ "أولاد الحرام" أو "أولاد الدولة" رغم أن ذلك شيء خارج عن إرادتهم، وذلك مثل فتح هيئة للمتابعة والتدخل في حالة الضرورة لتقديم يد المساعدة مثل التسهيلات الإدارية والتدخل لأجل الحصول على سكن وغيره باعتبار أن ليس لهم لا آباء ولا أقارب يلجأون إليهم لطلب المساعدة.

8- خاتمة:

لقد بينت العديد من الدراسات أن معاناة الأطفال المسعفين متعددة بحيث تشمل الجوانب الجسمية والنفسية والعائلية والاجتماعية والاقتصادية والدراسية وغيرها ، كما أنها تتسم بالاستمرارية والتكرار، فقد يعرف الطفل مشكلة ما تلاحقه طوال حياته، وقد تتكرر بعض المشاكل لعدد من المرات في أماكن مختلفة ومع أشخاص مختلفين، يواجه الطفل هذه المشكلات وتلك المعاناة لكن ديمومتها تجعله في كثير من الأحيان يهرب إلى الحلول السهلة بحيث تنهار دفاعاته فينحرف رغما عنه، لذلك فهو يحتاج إلى من يقف إلى جانبه ويشجعه ويوجهه على الدوام خصوصا وأن الأسلوب الذي تعالج به مشكلة الأطفال المسعفين لم تأت بنتيجة يمكن ذكرها أو الاستشهاد بها ما عدا التكفل بالأطفال في السنوات الأولى من العمر، والتخلي عنهم بعد ذلك مما يعرض كل المجهودات المبذولة للضياع والطفل للانحراف، لذلك حري بنا أن نسعف الطفل المسعف بالطريقة التي تضمن توازنه النفسي واندماجه الاجتماعي والنجاح في بناء مستقبله فردا نافعا لنفسه ولغيره.